بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة التحقيق

الحمد لله الذى هدانا لهذا، وصلاة وسلاماً على سيدنا محمد الصادق الوعد الأمين، وعلى آله وصحبه، وزوجاته، أمهات المؤمنين.

وبعد فهذا "حادى الأرواح إلى بلاد الأفراح" اختيار دقيق لمضمونه وذروة البلاغة والفصاحة في صياغته.

فالحادى: يسوق الإبل بالحداء - الغناء - لتغذو السير، وتدرك هدفه مخترقة الفيافي والبيداء، فلا تحس ولا تعبأ بما يعترضها فيها من أخطار وصعاب، فاستعاره للبشر يشدو لهم لحن الروح لتسمو أنفسهم عن الخطايا والموبقات، وتشف أرواحهم بالفيوضات والتجليات الربانية لهم بتطبيق شرع الله بفعل المأمورات والابتعاد عن المنهيات - افعل ولا تفعل - متسامين عن المادة - الحياة الدنيا الصاخبة باللهو والعبث والذى يقودهم إليها إبليس وحزبه ليكونوا من الخاسرين{اسْتَحْوَذَ عَلَيْهِمُ الشَّيْطَانُ فَأَنسَاهُمْ ذِكْرَ اللَّهِ أُوْلَئِكَ حِزْبُ الشَّيْطَانِ أَلاَ إِنَّ حِزْبَ الشَّيْطَانِ هُمُ الْخَاسِرُونَ} [المجادلة: 19].

لتسبح في عالم الأرواح، مصغين إلى لحن السماء والملائكة تزفهم إلى بلاد الأفراح جنات الفردوس{إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ كَانَتْ لَهُمْ جَنَّاتُ الْفِرْدَوْسِ نُزُلاً * خَالِدِينَ فِيهَا لاَ يَبْغُونَ عَنْهَا حِوَلاً} [الكهف: 107]. مسارعين إليها بأفعالهم الصالحات. استجابة لقوله تعالى: {وَسَارِعُواْ إِلَى مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَاوَاتُ وَالأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ} [آل عمران: 133].

فيها ما لاعين رأت، ولا أذن سمعت، ولا خطر على قلب بشر.

فياسُرُورُهم، وهم{فِي جَنَّاتِ النَّعِيمِ * عَلَى سُرُرٍ مُّتَقَابِلِينَ} [الصافات] {يَطُوفُ عَلَيْهِمْ وِلْدَانٌ مُّخَلَّدُونَ * بِأَكْوَابٍ وَأَبَارِيقَ وَكَأْسٍ مِّن مَّعِينٍ} [الواقعة: 17، 18].

فالجنة عرس الأعراس، ودرة الأفراح وتاج الفلاح والنجاة، وغاية الغايات أنهم فى دار رضوان الله، ومستقر رحمته، ونعيمه الدائم، والفوز بتجلية الله لهم في هذا المستقر برؤية الله{وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ * إِلَى رَبِّهَا نَاظِرَةٌ} [الواقعة: 22، 23].

التعريف بالمؤلف(1)

اسمه ونسبه:

محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد بن حريز الزرعي، الدمشقي، الحنبلي، المعروف بابن قيم الجَوْزيّة (شمس الدين، أبو عبد الله).

مولـــده ونشأته:

ولد بدمشق 7 صفر 691 هـ نشأ في بيئة دينية محافظة، وتلقى العلم على يد والده. ثم على طائفة من علماء دمشق، وغيرهم وجَدّ واجتهد حتى برع في علوم الشرعية والحقيقة والعربية.

رحلاته في طلب العلم التقى أثناءها بالشيخ ابن تيمية ولازمه بعد عودته من القاهرة وسجن معه في قلعة دمشق.

صفاتـــه:

كان عالماً عاملاً بعلمه، عابداً مجتهداً في العبادة مخلصاً لدينه ولشيخه.. قال عنه ابن كثير في "البداية والنهاية" - وكان صديقاً له-: كنت من أصحب الناس إليه، ولا أعرف في هذا العالم في زماننا أكثر عبادة منه.

آثـــاره: له تصانيف كثيرة لا تكاد تحصى منها:

1- التفسير القيم.
2- مدارج السالكين.
3- إغاثة اللهفان.
4- روضة المحبين ونزهة المشتاقين.
5- حادى الأرواح إلى بلاد الأفراح وهو (كتابنا).
6- زاد المعاد في هدى خير العباد.
7- أعلام الموقعين عن رب العالمين.

وفاتـــه:

توفى سنة (751 هـ)، رحمه الله وجزاه عمّا قدّم لدينه وأهله الجزاء الأوفى.

كتبه

محمد رضوان مهنا

---

(1) مصادر ترجمته:

1- معجم المؤلفين 3/.164
2- الأعلام 6/280، 281.
3- معجم الأعلام 6860.
4- البدر الطالع 2: 143 - 146.
5- النجوم الزاهرة: 10/.249
6- شذرات الذهب 6/168- 170.
7- الوافي بالوفيات 2/270 - 272.
8- هدية العارفين: 2/158، 159.

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ وبه الإعانة ﴾

الحمد لله الذى جعل جنات الفردوس لعباده المؤمنين نزلا، ويسَّرهم للأعمال الصالحة الموصلة إليها فلم يتخذوا سواها شغلا، وسهلَّ لهم طرقها فسلكوا السبيل الموصلة إليها ذللا، خلقها لهم قبل أن يخلقهم، وأسكنهم إياها قبل أن يوجدهم وحجبها بالمكاره، وأخرجهم إلى دار الامتحان ليبلوهم أيهم أحسن عملا، وجعل ميعاد دخولها يوم القدوم عليه، وضرب مدة الحياة الفانية دونه أجلا، وأودعها ما لا عين رأت، ولا أذن سمعت، ولا خطر على قلب بشر، وجلاها لهم حتى عاينوها بعين البصيرة التى هى أنفذ من رؤية البصر، وبشرهم بما أعد لهم البشرى بكونهم{خَالِدِينَ فِيهَا لاَ يَبْغُونَ عَنْهَا حِوَلاً}.

والحمد لله فاطر السماوات والأرض جاعل الملائكة رسلا، وباعث الرسل مبشرين ومنذرين لئلا يكون للناس على الله حجة إذ لم يخلقهم عبثا، ولم يتركهم سدى، ولم يغفلهم هملا، بل خلقهم لأمر عظيم، وهيأهم لخطب جسيم، وعمر لهم دارين، فهذه لمن أجاب الداعى ولم يبغ سوى ربه الكريم بدلا، وهذه لمن لم يجب دعوته ولم يرفع بها رأسا ولم يعلق بها أملا.

والحمد لله الذى رضى من عباده باليسير من العمل، وتجاوز لهم عن الكثير من الزلل، وأفاض عليهم النعمة، وكتب على نفسه الرحمة، وضمن الكتاب الذى كتبه أن رحمته سبقت غضبه، دعا عباده إلى دار السلام فعمهم بالدعوة حجة منه عليهم وعدلا، وخص بالهداية والتوفيق من شاء نعمة منه وفضلا، فهذا عدله وحكمته وهو العزيز الحكيم، وذلك فضله يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم.

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، شهادة عبده وابن عبده وابن أمته، ومن لا غنى له طرفة عين عن فضله ورحمته،ولا مطمع له فى الفوز بالجنة والنجاة من النار إلا بعفوه ومغفرته.

وأشهد أن محمدا عبده ورسوله، وأمينه على وحيه وخيرته من خلقه، أرسله رحمة للعالمين، وقدوة للعاملين ومحجة للسالكين، وحجة على العباد أجمعين، بعثه للإيمان مناديا،

وإلى دار السلام داعيا، وللخليقة هاديا، ولكتابه تاليا، ولمرضاته ساعيا، وبالمعروف آمرا، وعن المنكر ناهيا، أرسله على حين فترة من الرسل، فهدى به إلى أقوم الطرق، وأوضح السبل، وافترض على العباد طاعته ومحبته، وتعزيره وتوقيره[1] والقيام بحقوقه، وسد إلى الجنة جميع الطرق فلم يفتحها لأحد إلا من طريقه فلو أتوا من كل طريق واستفتحوا من كل باب لما فتح لهم حتى يكونوا خلفه من الداخلين، وعلى منهاجه وطريقته من السالكين.

فسبحان من شرح له صدره ووضع عنه وزره، ورفع له ذكره، وجعل الذل والصغار على من خالف أمره، فدعا إلى الله وإلى جنته سرًّا وجهارا، وأدّن بذلك بين أظهر الأمة ليلا ونهارا، إلى أن طلع فجر الإسلام، وأشرقت شمس الإيمان، وعلت كلمة الرحمن، وبطلت دعوة الشيطان، وأضاءت بنور رسالته الأرض بعد ظلماتها، وتألفت به القلوب بعد تفرقها وشتاتها، فأشرق وجه الدهر حسنا، وأصبح الظلام ضياء، واهتدى كل حيران.

فلمّا أكمل الله به دينه وأتم به نعمته، ونشر به على الخلائق رحمته، فبلّغ رسالات ربه ونصح عباده، وجاهد في الله حق جهاده، خيره بين المقام في الدنيا وبين لقائه والقدوم عليه، فاختار لقاء ربه محبة له وشوقا إليه، فاستأثر به ونقله إلى الرفيق الأعلى والمحل الأرفع الأسنى وقد ترك أمته على الواضحة الغراء، والمحجة البيضاء، فسلك أصحابه وأتباعه على أثره إلى جنات النعيم، وعدل الراغبون عن هديه إلى طرق الجحيم{لِّيَهْلِكَ مَنْ هَلَكَ عَن بَيِّنَةٍ وَيَحْيَى مَنْ حَيَّ عَن بَيِّنَةٍ وَإِنَّ اللّهَ لَسَمِيعٌ عَلِيمٌ}[2]، (فصلى الله) وملائكته وأنبياؤه ورسله وعباده المؤمنون عليه كما وحد الله وعبده، وعرفنا به، ودعا إليه.

(أما بعد): فإن الله - سبحانه وتعالى - لم يخلق خلقه عبثا ولم يتركهم سدى[3]، بل خلقهم لأمر عظيم وخطب جسيم، عرض على السماوات والأرض والجبال فأبين وأشفقن منها إشفاقا وَوَجَلا، وقلن: ربنا إن أمرتنا فسمعا وطاعة وإن خيرتنا فعافيتك نريد لا نبغي بها بدلا، وحمله الإنسان على ضعفه وعجزه عن حمله، وباء

---

(1) تعزيره: عزره لامه وأدّبه. وتوقيره: وقّره: عظّمه وبجّله لما فيه من الرزانة والحلم، قال تعالى:{ } [الفتح: 9].

(2) آية (142) سورة الأنفال.

(3) سُدَى: السُّدَى: المهمل. يقال: ذهب جهده سُدَى: ضاع.

به على ظلمه وجهله، فألقى أكثر الناس الحمل عن ظهورهم لشدة مؤنته عليهم وثقله، فصحبوا الدنيا صحبة الأنعام السائمة[1]، لا ينظرون فى معرفة موجدهم وحقه عليهم ولا فى المراد من إيجادهم وإخراجهم إلى هذه الدار التى هى طريق ومعبر إلى دار القرار، فلا يتفكرون فى قلة مقامهم فى الدنيا الفانية، وسرعة رحيلهم إلى الآخرة الباقية، فقد ملكهم باعث الحس، وغاب عنهم داعى العقل، وشملتهم الغفلة وغرتهم الأمانى الباطلة، والخدع الكاذبة، فخدعهم طول الأمل، وران[2] على قلوبهم سوء العمل، فهمُّهُم فى لذات الدنيا، وشهوات النفوس كيف حصلت حصلوها، ومن أى وجه لاحت أخذوها، إذا بدا لهم حظ من الدنيا عضوا عليه بالنواجذ [3] وطاروا إليه زرافات ووحدانا، وإذا عرض لهم عاجل من الدنيا لم يؤثروا عليه ثوابا من الله ولا رضوانا: **{يَعْلَمُونَ ظَاهِرًا مِّنَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ عَنِ الآخِرَةِ هُمْ غَافِلُونَ}**[4]. **{وَلاَ تَكُونُوا كَالَّذِينَ نَسُوا اللَّهَ فَأَنسَاهُمْ أَنفُسَهُمْ أُوْلَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ}**[5].

والعجب كل العجب - من غفلة مَنْ لحظاته معدودة عليه. وكل نَفَس من أنفاسه لا قيمة له وإذا ذهب لم يرجع إليه، فمطايا الليل والنهار تسرع به ولا يتفكر إلى أين يُحمل، ويسار به أعظم من سير البريد، ولا يدرى إلى أى الدارين يُنقل، فإذا نزل به الموت اشتد قلقه لخراب ذاته وذهاب لذاته، لا لما سبق من جناياته وسلف من تفريطه، حيث لم يقدم لحياته، فإذا خطرت له خطرة عارضة لما خلق له دفعها باعتماده على العفو، وقال: لقد أنبأنا أنه هو الغفور الرحيم، وكأنه لم ينبأ أن عذابه هو العذاب الأليم.

---

(1) السائمة: هى الراعية. يقال: سامت تسوم سوما. وهى الدابة المرسلة فى مرعاها. "النهاية" (2/ 426).

(2) ران: طبع وغطى. "النهاية" (2/ 291).

(3) النواجذ: جمع ناجذ: الضرس. وللإنسان أربعة نواجذ في أقصى الأسنان. ومنه حديث العِرْباض: عضُّوا عليها بالنواجذ أى تمسكُّوا بها كما يتمسك العاضُّ بجميع أضراسه. ومنه حديث عمر (رضى الله عنه) ولن يَلِىَ الناس كفرشّى عضَّ على ناجِذِه. أى صبر وتصلب في الأمور (اللسان: نجذ).

(4) آية (7) سورة الروم.

(5) آية (19) سورة الحشر.

فصل

ولما علم الموفقون ما خلقوا لـه وما أريد بإيجادهم رفعوا رؤوسهم، فإذا عَلَمُ الجنة قد رُفع لهم فشمروا إليه، وإذا صراطها المستقيم قد وضح لهم فاستقاموا عليه، ورأوا من أعظم الغبن[1] بيع ما لا عين رأت ولا أذن سمعت، ولا خطر على قلب بشر، فى أبد لا يزول، ولا ينفذ بصُبابة عيش[2]، وإنما هو كأضغاث أحلام، أو كطيف زار فى المنام، مشوب بالنغص، ممزوج بالغصص[3]، إن أضحك قليلا أبكى كثيرا، وإن سر يوما أحزن شهورا، آلامه تزيد على لذاته، وأحزانه أضعاف أضعاف مسراته، أولـه مخاوف وآخره متالف، فيا عجبا من سفيه فى صورة حليم، ومعتوه فى مسلاخ عاقل، آثر الحظ الفانى الخسيس، على الحظ الباقى النفيس وباع جنة عرضها السماوات والأرض، بسجن ضيق بين أرباب العاهات، والبليات، ومساكن طيبة فى جنات عدن تجرى من تحتها الأنهار، بأعطان[4] ضيقة آخرها الخراب والبوار، وأبكارا عربا أترابا كأنهن الياقوت والمرجان، بقذرات دنسات سيئات الأخلاق مسافحات أو متخذات أخدان، وحورا مقصورات فى الخيام بخبيثات مسيبات بين الأنام، وأنهارا من خمر لذة للشاربين، بشراب نجس مذهب للعقل مفسد للدنيا والدين، ولذة النظر إلى وجه العزيز الرحيم، بالتمتع برؤية الوجه القبيح الدميم، وسماع الخطاب من الرحمن، بسماع المعازف والغناء والألحان، والجلوس على منابر اللؤلؤ والياقوت والزبرجد يوم المزيد، بالجلوس فى مجالس الفسوق مع كل شيطان مريد، ونداء المنادى يا أهل الجنة: "إن لكم أن تنعموا فلا تبأسوا وتحيوا فلا تموتوا، وتقيموا فلا تظعنوا[5] لـه وتشبوا فلا تهرموا بغناء المغنين"[6].

وقف الهـوى بي حيـث أنـت فلـيس لي ::: متـــــأخر عنـــــه ولا متقـــــدم

---

(1) الغبن: الظلم والنقص.

(2) الصُّبابة: البقية القليلة من الماء ونحوه.

(3) النغص: تكدير العين. الغصص: ما اعترض في الحلق من طعام أو شراب (المختار: نغص، وغصص).

(4) أعطان: جمع عطن، وهو مبرك الإبل حول الماء. يقال: عطنت الإبل فهى عاطنة جمع عاطنات وعواطن وعُطُون: إذا سقيت أعطن الإبل: أراحها بعد الورود لتعود فتشرب. اللسان (عطن).

(5) فلا تظعنوا: أى فلا ترحلوا.

(6) نسب صاحب الأمالى هذين البيتين وبيتين بعدهما للشاعر أبى الشيص. ولكن صاحب التنبيه ذكر أن هذه الأبيات الأربعة ليست في ديوان أبى الشيص. ولكنها لعلى بن عبد الله بن جعفر بن إبراهيم. الأمالى 273/1، والتنبيه/74.

وإنما يظهر الغبن الفاحش فى هذا البيع يوم القيامة، وإنما يتبين سفه بائعه يوم الحسرة والندامة، إذا حشر المتقون إلى الرحمن وفدا وسيق المجرمون إلى جهنم وردا، ونادى المنادى على رؤوس الأشهاد: ليعلمن أهل الموقف من أولى بالكرم من بين العباد، فلو توهم المتخلف عن هذه الرفقة ما أعد لهم من الإكرام وادّخر لهم من الفضل والإنعام، وما أخفى لهم من قرة أعين لم يقع على مثلها بصر، ولا سمعته أذن، ولا خطر على قلب بشر، لعلم أى بضاعة أضاع، وأنه لا خير له فى حياته وهو معدود من سقط المتاع، وعلم أن القوم قد توسطوا ملكا كبيرا لا تعتريه[1] الآفات، ولا يلحقه الزوال، وفازوا بالنعيم المقيم فى جوار الكبير المتعال.

فهم فى روضات الجنة يتقلبون، وعلى أسرتها تحت الحجال[2] يجلسون، وعلى الفرش التى بطائنها من استبرق يتكئون، وبالحور العين يتمتعون، وبأنواع الثمار يتفكهون، و**{يَطُوفُ عَلَيْهِمْ وِلْدَانٌ مُّخَلَّدُونَ * بِأَكْوَابٍ وَأَبَارِيقَ وَكَأْسٍ مِّن مَّعِينٍ * لاَ يُصَدَّعُونَ عَنْهَا وَلاَ يُنزِفُونَ * وَفَاكِهَةٍ مِّمَّا يَتَخَيَّرُونَ * وَلَحْمِ طَيْرٍ مِّمَّا يَشْتَهُونَ * وَحُورٌ عِينٌ * كَأَمْثَالِ اللُّؤْلُؤِ الْمَكْنُونِ * جَزَاء بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ}**[3]، و**{يُطَافُ عَلَيْهِم بِصِحَافٍ مِّن ذَهَبٍ وَأَكْوَابٍ وَفِيهَا مَا تَشْتَهِيهِ الأَنفُسُ وَتَلَذُّ الأَعْيُنُ وَأَنتُمْ فِيهَا خَالِدُونَ}**[4]، تالله لقد نودى عليها فى سوق الكساد، فما قلب ولا استام[5] إلا أفراد من العباد، فوا عجبا لها كيف نام طالبها؟ وكيف لم يسمح بمهرها خاطبها؟ وكيف طاب العيش فى هذه الدار بعد سماع أخبارها؟ وكيف قرّ للمشتاق القرار دون معانقة أبكارها؟، وكيف قرت دونها أعين المشتاقين؟ وكيف صبرت عنها أنفس الموقنين؟ وكيف صدفت عنها قلوب أكثر العالمين؟ وبأى شىء تعوضت عنها نفوس المعرضين؟

* * * * * * *

---

(1) لا تعتريه: لا تصيبه.

(2) الحجال: حجال العرُوس: وهى بيت يُزيّن بالثياب والأسِرَّة والسُّتُور. مختار الصحاح: حجل.

(3) آيات (17 - 24) سورة الواقعة.

(4) آية (71) سورة الزخرف.

(5) قلب: الفؤاد وقد يعبر عنه بالعقل. استام: في المبايعة وإنه لغالى السيمة، مختار الصحاح (قلب، سوم).

(شعر فى وصف الجنة) [1]:

وما ذاك إلا غيرة أن ينالها ::: سوى كفها والرب بالخلق أعلم
وإن حجبت عنا بكل كريهة ::: وحفت بما يؤذى النفوس ويؤلم
فللّهِ ما فى حشوها من مسرة ::: وأصناف لذات بها يتنعم
ولله برد العيش بين خيامها ::: وروضاتها والثغر فى الروض يبسم
ولله واديها الذى هو موعد المز ::: يد لوفد الحب لو كنت منهم
بذيّالك الوادى يهيم صبابة ::: محب يرى أن الصبابة مغنم
ولله أفراح المحبين عندما ::: يخاطبهم من فوقهم ويسلم
ولله أبصار ترى الله جهرة ::: فلا الضيم يغشاها ولا هى تسأم
فيا نظرة أهدت إلى الوجه نضرة ::: أَمِنْ بعدها يسلو المحب المتيم؟
ولله كم من خيرة إن تبسمت ::: أضاء لها نور من الفجر أعظم
فيا لذة الأبصار إن هى أقبلت ::: ويا لذة الأسماع حين تكلم
ويا خجلة الغصن الرطيب إذا انثنت ::: ويا خجلة الفجر حين تبسم
فإن كنت ذا قلب عليل بحبها ::: فلم يبق إلا وصلها لك مرهم
ولا سيما فى لثمها [2] عند ضمها ::: وقد صار منها تحت جيدك معصم
تراه إذا أبدت له حسن وجهها ::: يلذ به قبل الوصال وينعم
تفكه فيها العين عند اجتلائها ::: فواكه شتى طلعها ليس يعدم
عناقيد من كرم وتفاح جنة ::: ورمان أغصان به القلب مغرم
وللورد ما قد ألبسته خدودها ::: وللخمر ما قد ضمه الريق والفم
تقسم منها الحسن فى جمع واحد ::: فَيا عجبا من واحد يتقسم
لها فِرَق شتى من الحسن أجمعت ::: بجملتها عن السلو محرم
تذكر بالرحمن من هو ناظر ::: فينطق بالتسبيح لا يتلعثم [3]
إذا قابلت جيش الهموم بوجهها ::: تولى على أعقابه الجيش يُهزم
ولما جرى ماء الشباب بغصنها ::: تيقن حقا أنه ليس يهرم
فيا خاطب الحسناء إن كنت راغبا ::: فهذا زمان المهر فهو المقدم
وكن مبغضا للخائنات لحبها ::: فتحظى بها من دونهن وتنعم

---

(1) من تأليف المؤلف ابن القيم.
(2) لثمها: قبّلها.
(3) تلعثم: في الأمر إذا تمكّث فيه وتأنّى.

وكـــن [1] أيمـــا ممـــن ســـواها فإنهـــا ::: لمثلـــك فى جنـــات عـــدن تـــأيم
وصـــم يومـــك الأدنى لعلـــك فى غـــد ::: تفـــوز بعيـــد الفطـــر والنـــاس صـــوم
وأقـــدم ولا تقنـــع بعـــيش مـــنغص ::: فمـــا فـــاز باللـــذات مـــن لـــيس يقـــدم
وإن ضـــاقت الـــدنيا عليـــك بأســـرها ::: ولم يـــك فيهـــا منـــزل لـــك يعلـــم
فحـــيّ علـــى جنـــات عـــدن فإنهـــا ::: منازلنـــا الأولى وفيهـــا المخـــيم
ولكننـــا ســـبى العـــدو فهـــل تـــرى ::: نعـــود إلى أوطاننـــا ونســـلم؟
وقـــد زعمـــوا أن الغريـــب إذا نـــأى ::: وشـــطت [2] بـــه أوطانـــه فهـــو مغـــرم
وأى اغتـــراب فـــوق غربتنـــا الـــتى ::: لهـــا أضـــحت الأعـــداء فينـــا تُحكـــم
وحىَّ علـــى الســـوق الـــذى فيـــه يلتقـــى ::: المحبـــون ذاك الســـوق للقـــوم يعلـــم
فمهما شئت خـــذ منـــه بـــلا ثمـــن لـــه ::: فقـــد أســـلف التجـــار فيـــه وأســـلموا
حـــيّ علـــى يـــوم المزيـــد الـــذى بـــه ::: زيـــارة رب العـــرش فـــاليوم موســـم
وحـــيَّ علـــى واد هنالـــك أفـــيح ::: وتربتـــه مـــن إذفـــر [3] المســـك أعظـــم
منـــابر مـــن نـــور هنـــاك وفضـــة ::: ومـــن خـــالص العقيـــان [4] لا يتقصـــم
وكثبـــان مســـك قـــد جعلـــن مقاعـــدا ::: لمـــن دون أصـــحاب المنـــابر تعلـــم
فبينـــا هـــم فى عيشـــهم وســـرورهم ::: وأرزاقهـــم تجـــرى علـــيهم وتقســـم
إذا هـــم بنـــور ســـاطع أشـــرقت لـــه ::: بأقطارهـــا الجنـــات لا يتـــوهم
تجلـــى لهـــم رب الســـماوات جهـــرة ::: فيضـــحك رب العـــرش ثم يكلـــم
ســـلام علـــيكم يســـمعون جميعهم ::: بـــآذانهم تســـليمه إذ يســـلم
يقول: ســـلونى مـــا اشـــتهيتم فكـــل مـــا ::: تريـــدون عنـــدى إنـــنى أنـــا أرحـــم
فقـــالوا جميعـــا: نحـــن نســـألك الرضـــا ::: فأنـــت الـــذى تُـــولى الجميـــل وتَـــرْحم
فيعطـــيهم هـــذا ويشـــهد جمعهـــم ::: عليـــه تعـــالى الله فـــالله أكـــرم
فيـــا بائعـــا هـــذا بـــبخس معجـــل ::: إنـــك لا تـــدرى، بلـــى ســـوف تعلـــم
فـــإن كنـــت لا تـــدرى فتلـــك مصـــيبة ::: وإن كنـــت تـــدرى فالمصـــيبة أعظـــم

* * * * * * *

(1) أيما: الأيم التي تفقد زوجها. والشاعر طلقه على الذكر تجوزاً.
(2) نأى: بَعُدَ. وشطّت: شطّت به الأوطان شطوطا: بَعُدَت (مختار الصحاح: نأى، شطّ).
(3) أذفر: بَيّن الذفر: كل ريح ذكيّة من طيب أو نتن. يقال: مسك أذفر: بيّن الذفر.
(4) العقيان: الذهب الخالص. "النهاية" (3/ 283).

هذا الكتاب

وهذا كتاب اجتهدت في جمعه وترتيبه، وتفصيله وتبويبه، فهو للمحزون سلوة، وللمشتاق إلى تلك العرائس جلوة، محرك للقلوب، إلى أجل مطلوب، وحاد للنفوس إلى مجاورة الملك القدوس، ممتع لقارئه، مشوق للناظر فيه، لا يسأمه الجليس، ولا يمله الأنيس، مشتمل من بدائع الفوائد، وفرائد القلائد، على ما - لعل المجتهد في الطلب - لا يظفر به فيما سواه من الكتب مع تضمينه لجملة كثيرة من الأحاديث المرفوعات، والآثار الموقوفات، والأسرار المودعة في كثير من الآيات والنكت البديعات وإيضاح كثير من المشكلات والتنبيه على أصول من الأسماء، والصفات، إذا نظر فيه الناظر زاده إيمانا، وجلى عليه الجنة، حتى كأنه يشاهدها عيانا فهو مثير ساكن العزمات إلى روضات الجنات وباعث الهمم العليات، إلى العيش الهنى في تلك الغرفات.

وسميته "**حادي الأرواح ، إلى بلاد الأفراح**" فإنه اسم يطابق مسماه، ولفظ يوافق معناه والله يعلم ما قصدت وما بجمعه وتأليفه أردت؛ فهو عند لسان كل عبد وقلبه، وهو المطلع على نيته وكسبه، وكان جُلَّ المقصود منه بشارة أهل السنة، بما أعد الله لهم في الجنة، فإنهم المستحقون للبشرى في الحياة الدنيا وفي الآخرة ، ونعم الله عليهم باطنة وظاهرة، وهم أولياء الرسول وحزبه؛ ومن خرج عن سنته فهم أعداؤه وحربه، لا تأخذهم في نصرة سنته ملامة اللوام، ولا يتركون ما صح عنه لقول أحد من الأنام، والسنة أجلُّ في صدورهم من أن يقدموا عليها رأيا فقهيا أو بحثا جدليا، أو خيالا صوفيا، أو تناقضا كلاميا، أو قياسا فلسفيا، أو حكما سياسيا، فمن قدم عليها شيئا من ذلك، فباب الصواب عليه مسدود، وهو عن طريق الرشاد مصدود.

فيا أيها الناظر فيه، لك غنمه وعلى مؤلفه غرمه، ولك صفوه، وعليه كدره، وهذه بضاعته المزجاة[1] تعرض عليك. وبنات أفكاره تزف إليك، فإن صادفت كفؤا كريما لم تعدم منه إمساكا بمعروف أو تسريحا بإحسان، وإن كان غيره، فالله المستعان، فما كان من صواب فمن الواحد المنان، وما كان من خطأ فمني ومن الشيطان، والله بريء منه ورسوله. وقد قسمت الكتاب سبعين بابا.

والله سبحانه هو المسؤول أن يجعله خالصا لوجهه الكريم، مدنيا لمؤلفه وقارئه وكاتبه من جنات النعيم، وأن يجعله حجة له ولا يجعله حجة عليه، وأن ينفع به من انتهى إليه إنه خير مسؤول وأكرم مأمول وهو حسبنا ونعم الوكيل.

---

(1) المزجاة: القليلة مردودة مرغوب عنها. مختار الصحاح والمعجم الوسيط، (زجا).

* * * * * * *